الذين ثاروا على الحكم المصري، أم بدافع إرضاء تلك الطوائف ومَن وراءها من دول أوروبية كان محمد علي، والد ابراهيم باشا وحاكم مصر، يبغي التقرب منها وكسب ودها في صراعه المصيري مع الأمبراطورية العثمانية، فقد شجع ذلك أبناء الطوائف غير الإسلامية، من نصارى ويهود، على التدفق، بأعداد كبيرة، إلى القدس، للاستيطان فيها، فازدهرت المدينة عمرانياً وتجارياً، خصوصاً وأن ابراهيم باشا كان قد أباح التجارة في البلاد للأجانب، وكان ذلك محظوراً عليهم «إلا في بعض الثغور والموانىء الساحلية»، كما أنشأ الكثير من طرق المواصلات بين القدس والمدن المجاورة[8].

واستطاع غير المسلمين من النصارى واليهود أن يدخلوا في المجلس الإداري الذي شكله ابراهيم باشا للمدينة كممثلين عن طوائفهم، كما استطاعوا أن ينالوا ترخيصاً لكي يبنوا مساكن ويقيموا أماكن عبادة لهم خارج أسوار المدينة المقدسة، فبدأت مدينة القدس تمتد شمالاً وجنوباً وغرباً خارج تلك الأسوار[9].

وإذا كان سكان القدس، من مسلمين ومسيحيين، قد انتشروا خارج الأسوار بلا نية مستترة ولا تصور مستقبلي لمصير المدينة المقدسة، فإن اليهود كانوا، بعكس ذلك، يخططون، بدقة وانتباه كبيرين، لما يجب أن يؤول إليه مصير هذه المدينة، في نظرهم. وهكذا، فقد بدأت المستعمرات اليهودية تنتشر خارج الأسوار بدءاً من عام 1859، حتى بلغ عددها 16 مستعمرة عند نهاية القرن المنصرم (التاسع عشر)، حيث «طوقت القدسَ من الغرب والشمال والشمال الشرقي»[10]. ويذكر المؤرخ «عارف العارف» أن عدد سكان القدس كان، في هذه الفترة (فترة حكم ابراهيم باشا)، عشرين ألف نسمة «ألف منهم مسيحيون»[11]، ولم يذكر عدد اليهود بسبب ندرتهم، على ما يبدو، فإذا بهذا العدد يتزايد، بصورة مفاجئة وغير متوقعة، حتى يصل، في منتصف القرن التاسع عشر، إلى التساوي بينه وبين عدد المسيحيين في المدينة، بينما يحافظ

---

(8) العارف، م. ن. ص. ن.

(9) Bahat, Op. Cit., p. 122.

(10) بحيري، صلاح الدين، يوم القدس، ص 38 (أضواء على الجغرافية السياسية لمدينة القدس).

(11) العارف، المرجع السابق، ص 288.